مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٨:٢٦–٣٩)

في تلكَ الأيامِ كلَّمَ ملاكُ الربِ فيلبُّسَ قائلاً قُمْ فانطَلِقْ نحوَ الجنوبِ إلى الطريقِ المنحدرةِ من أورشليمَ إلى غزَّةَ. وهي مُقفِرةٌ* فقامَ وانطلقَ. وإذا برجُلٍ حبشيٍّ خصيٍّ ذي منزلةٍ عظيمةٍ عندَ كَنداكةَ ملِكَةِ الحبَشَةِ. وهو قيِّمٌ جميعِ خزائنِها. وقد جاءَ ليسجُدَ في أورشليمَ* وكانَ راجعًا وهو جالسٌ في مركبَتِه يقرأُ في إشعياءَ النبي* فقالَ الروحُ لفيلبُّسَ ادْنُ مِنَ المركبةِ والزَمْها* فبادَرَ إليهِ فيلبُّسُ فسمعَهُ يقرأُ في أشعياءَ النبي. فقالَ هل تفهَمُ ما تقرأْ* فقالَ وكيفَ يمكنني إن لم يُرشِدْني أحدٌ. وطلبَ إلى فيلبُّسَ أن يصعَدَ ويجلِسَ معهُ* وكانَ الموضِعُ الذي يقرأُهُ من الكتابِ هذا قد سِيقَ مثلَ خروفٍ إلى الذبحِ ومثلَ حمَلٍ صامتٍ أمامَ الذي يجُزُّهُ هكذا لم يفتحْ فاهُ* في تواضعِه يُنتزَعُ قضاؤهُ. وأمَّا جيلهُ فمن يَصفُهُ. فإنَّ حياتَهُ تُنتزَعُ من الأرضِ* فأجابَ

والدة الإله لدى القديس غريغوريوس بالاماس

لقد شغلت القديسة والدة الإله حيّزًا هامًا في فكر القديس غريغوريوس بالاماس وتعليمه (راجع سيرته مفصّلة في السنكسار)، وهو تعليم نابع من تأمل بالغ الواقعية لسر الأمومة المتألهة الذي استبان عقيدة في مجمع أفسس المسكوني: تجسد الكلمة ابن الله تم في البتول مريم وعبرها، فلا يمكن بالتالي فصل شخص العذراء مريم عن شخص ابنها يسوع المسيح. ولطالما رأى بالاماس، مستلهمًا تعاليم الآباء سابقيه والتقليد الليتورجي، في والدة الإله صفات كانت تبدو في الكتاب المقدس محصورة بالمسيح وحده. لكنه ما نظر يومًا إلى مريم كشخص منفرد بل كتلك «التي ولدت الإله». سر الأمومة المتألهة كان في فكر بالاماس، كما في وجدان التقليد الكنسي، وجهًا خاصًا وأساسيًا للمسيحانية الأرثوذكسية التي ما انفكت تؤكد على ملء الطبيعتين الإنسانية والإلهية في المسيح. من دون مريم ما كان لاتحاد الطبيعتين أن يتحقق في يسوع.

هكذا، وفي عظات بالاماس العديدة في والدة الإله، مريم هي «منبع وجذر نسل الحرية» (أي نسل المنقولين من أسر الخطيئة إلى حرية أبناء الله)، وجسدها الذي استحال هيكلاً لله بات «الترياق الذي يشفي جنسنا من سم الحية». وحدها العذراء مريم، دون كل المخلوقات، أُعطي لها أن تتوسط الطبيعتين المخلوقة وغير المخلوقة. العذراء مريم في تعليم بالاماس هي فاتحة تحقيق الخلاص والنافذة التي منها رأى الأنبياء الكلمة متجسدًا، وهي سند الشهداء الذين بموتهم الطوعي غلبوا بذرة الموت الموروثة. وفي قراءته لنبوءة إشعياء يرى القديس غريغوريوس أن العذراء مريم هي الملقط الذي حمل به الملاك الجمرة، التي تزيل الإثم وتطهّر من الدنس (إشعياء ٦:٦–٧)، والجمرة في تقليدنا الشريف هي المسيح نفسه. نشير هنا إلى أن من بين مواعظ القديس غريغوريوس التعليمية النفيسة العديدة، عظة مطوّلة يؤيّد فيها تقليدًا تاريخيًا راج منذ القرن الرابع، لاسيما لدى القديسين الذهبي الفم وافرام السرياني، مفاده أن المسيح يسوع ميّز والدته بأول ظهور له بعد القيامة. يؤيّد

العدد ٢٠٠٤/٤٦

الأحد ١٤ تشرين الثاني

تذكار القديس فيلبس الرسول

الكلّي المديح

والقديس غريغوريوس بالاماس

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثاني

الخصيُّ وقالَ لفيلبُّسَ أتوسَّلُ إليكَ أن تُخبرني عمَّن يقولُ النبيُّ هذا أعَنْ نفسِهِ أم عن عن رجُلٍ آخر* فَفَتَحَ فيلبُّسُ فاهُ وابتدأَ من ذلك الكتابِ فبشَّرَهُ بيسوع* وفيما هما منطلقانِ في الطريقِ أقبَلا على ماءٍ فقالَ الخصيُّ هوذا ماءٌ فماذا يمنَعُ من أن أعتمدَ* فقال فيلبُّسُ إن كنتَ تؤمنُ من كل قلبكَ يجوز. فأجابَ قائلاً إني أؤمنُ أن يسوعَ المسيحَ هو ابنُ الله* وأمرَ بأن تقِفَ المركبَةُ. ونزلا كلاهُما إلى الماءِ فيلبُّسُ والخَصيُّ فعمَّدَهُ. ولمَّا صعِدا من الماءِ خَطِفَ روحُ الربِّ فيلبُّسَ فلم يَعُد يُعاينُهُ الخَصيُّ. فسارَ في طريقِهِ فرِحًا.

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٢٥-٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّبًا لهُ يا معلّمُ ماذا أعملُ لأرِثَ الحياةَ الأبدية* فقال لهُ ماذا كُتِبَ في الناموس. كيف تقرأُ* فأجابَ وقالَ أحبِبِ الربَّ إلهَكَ من كل قلبِك ومن كل نفسِك ومن كل قدرتِك ومن كل ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال لهُ بالصواب أجبتَ. إعملْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزَكّيَ نفسَهُ فقال ليسوعَ ومن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدرًا من أورشليمَ إلى

بالاماس هذا التقليد بلا حرج، على أساس أن البتول التي مُيِّزت بسكنى الإله في حشاها وحملت بصمت ألم السيف الجائز في نفسها (لو ٢:٣٥)، لا بدّ لها أن تكون أول الفرحين بقيامته ورأس الكارزين بظَفَره.

هذه التعظيمات الوافرة التي قدّمها بالاماس لمريم، وبرغم أسلوبها الوجداني الشاعري، تنصبّ كلها على دور العذراء في التجسد لا على شخصها معزولاً. إكرام بالاماس لمريم ليس فيه «تأليه» لها – وإلا لكان خروجًا على الإيمان القويم – بل هو شهادة على محورية المسيح في إيمان بالاماس وتقواه وفهمه لتاريخ الخلاص. إكرام مريم موجه في جوهره إلى الإنسان الإله الذي ولدته، وكل إكرام ينحصر في شخصها دون سر الأمومة المتألهة يكون إذّاك شططًا وخروجًا على الإطار الكتابي والعقيدي.

من أكثر المسائل حساسية في دور مريم في التدبير الخلاصي مسألة تهيئة الله لها لاقتبال ابنه الأزلي متجسدًا في حشاها، وهي مسألة عالجها القديس غريغوريوس بوضوح ودقة بالغين، وإن أسيء فهمه في هذا المجال أحيانًا. فالتي سوف تلد «الأبرع جمالاً من بني البشر» (مز ٤٥:٢) لا يسعها إلا أن تفوق سائر المخلوقات طهرًا وبهاءً، «فالله يستحيل عليه أن يتحد بما ليس فائق الطهارة»، على حد قول القديس. لعل البعض رأوا في هذا الإعلان تطابقًا مع عقيدة الحبل بلا دنس التي أقرّها الغرب اللاتيني في القرن العاشر، سيما وأن جذر الإعلانين ومرتكزهما هو أن بشرية المسيح المنزّهة عن كل عيب لا يمكنها أن تولد إلا من حشا بشري منزه عن العيب أيضًا. لكن بالاماس، رغم تقواه البالغة تجاه والدة الإله، ما حاد عن إيمان الكنيسة بمركزية

الخلاص وحصريته في المسيح. العذراء استمدت طهرها وبهاءها، حتى قبل البشارة، من المسيح المزمع أن يولد منها. مريم ولدت من يواكيم وحنة تحت الناموس، فالمجد الذي انسكب عليها هو نتيجة لأمومتها الفائقة الوصف، وليس سابقًا لها. العذراء مريم ماتت ميتة البشر كابنة لذرية آدم، لكنها تمجدت في جسدها الذي استحال بفضل أمومتها لمنبع الحياة غريبًا عن الفساد.

في عظة له عن دخول العذراء إلى الهيكل وحياتها فيه، والتي يعتبرها بالاماس مثالاً لحياة التوحد والهدوئية في الله، يقول إن العذراء ما كانت في الهيكل تتأمل في نعمة نزلت عليها منذ تكوينها، بل في طبيعة خطيئة الجدَّيْن الأولين. حياة مريم في الهيكل آلت بها إلى الإيقان بأن ما من مخلوق يستطيع لجم تيار الموت الجارف البشر، وفي جوابها للملاك يوم البشارة إيمان بفعل الروح القدس وبقوة العلي (لو ١:٣٥ – ٣٨)، تطهيرًا لها وتهيئة لاقتبال الذي لا تسعه السموات ولا الأرض طفلاً في أحشائها.

في البشارة قال الله لمريم كلامًا أبطل اللعنة القديمة على الجدّيْن الأولين، فصارت مريم الأم الجديدة فاتحة لزمان البركة، فردوسًا جديدًا لشجرة الحياة، المسيح يسوع خلاص الخليقة الوحيد.

سلام الله

«سلامًا أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤:٢٧).

معظم صلواتنا الكنسيَّة، القداس الإلهي والغروب والسحر وغيرهم، تبتدئ بما يُعرف بالطلبة السلامية الكبرى: «بسلام إلى الرب نطلب، من

أريحا فوقع بين لصوص فَعَرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميِّتٍ* فاتَّفَقَ أن كاهنًا كان منحدرًا في ذلك الطريقِ فأبصرَهُ وجاز من أمامهِ* وكذلك لاويٌّ وأتى إلى المكانِ فأبصرَهُ وجازَ من أمامهِ* ثمَّ إنَّ سامريًّا مسافرًا مرَّ بهِ فلمَّا رآهُ تحنَّن* فدنا إليهِ وضمَّدَ جراحاتهِ وصَبَّ عليها زيتًا وخمرًا وحملهُ على دابَّتهِ وأتى به إلى فندقٍ واعتنى بأمرهِ* وفي الغدِ فيما هو خارجٌ أخرجَ دينارَيْن وأعطاهما لصاحبِ الفندقِ وقال لهُ اعْتَنِ بأمرهِ. ومهما تُنفِقْ فوقَ هذا فأنا أدفعُهُ لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تَحْسَبُ صارَ قريبًا للذي وقعَ بين اللصوص* قال الذي صَنَعَ إليهِ الرحمةَ. فقال لهُ يسوعُ امْضِ فاصْنَعْ أنتَ أيضًا كذلك.

تأمل

إن السامري يمثّل الرب يسوع لا لطبيعة ألوهته بل لطريقته المتحنّنة. إن السامري بطبيعة جسده كان يشبه الآخرين لكن بشفقته لم يكن يماثلهم. لقد فاق عليهم. هكذا ظهر الرب كإنسان بصورته الجسدية شبيهًا بالأنبياء وبالأجداد بحسب طبيعته الجسدية التي أخذها من مريم العذراء. لكن بقوة ألوهيته فاق على الجميع. كان

أجل السلام الذي من العلى ...». كما نسمع الكاهن أو الشماس يردد «أيضًا وأيضًا بسلام إلى الرب نطلب»، وهذه تعرف بالطلبة السلامية الصغرى. القداس الإلهي يبتدئ بـ : «بسلام إلى الرب نطلب» وينتهي بـ : «لنخرج بسلام إلى الرب نطلب». أيّ سلام نتكلم عنه؟

إن السلام الذي نطلبه ونبتغيه في صلواتنا هو سلام الله الذي من العلى: «من أجل السلام الذي من العلى وخلاص نفوسنا ...». إنه السلام الوحيد الحقيقي، الصادق، الشامل، غير المبالي بمصلحة معينة ولا يحابي الوجوه. إنه السلام الذي أعلنه جوق من الملائكة عند ولادة السيد: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة» (لو ٢:١٤). هذا السيد الذي بتجسده جلب لنا السلام والمصالحة مع الله ومع الخليقة كلها ومع أنفسنا. إنه السلام المبني على محبة الله المطلقة تجاه الإنسان والذي لا يعادله أي سلام آخر من صنع البشر.فالسلام البشري، وكما نعرف من التاريخ والتجارب الشخصية، خاضع للتجاذبات والمصالح، وهو سلام أفضل الممكن وليس المطلق. إنه يختلف عن سلام الله: «ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤:٢٧).

هذا السلام الإلهي العلوي، متى سعى إليه الإنسان بصدق، ينتج عنه سلام داخلي في الإنسان، أي مصالحة الإنسان مع نفسه. يصبح الإنسان عالمًا بما ينفعه وبما يريده، وتصبح الطريق واضحة أمامه لأنه لا يبقى يتخبط في داخله بسبب فوضى كيانه «الله ليس إله تشويش بل إله سلام» (١كو ١٤:٣٣). ألم يتجسد ابن الله ويُصلَب لكي نصير خليقة جديدة على صورته ومثاله، وبذلك نستطيع أن نتغلّب على كل خطيئة أو شر يفسد كياننا؟ متى قبلنا سلام الله، لا تعود العوامل النفسية تؤلمنا أو تتعبنا، ونصبح قادرين على مواجهة الشهوات وضبطها، طبعًا بنعمة الروح القدس والصلاة والصوم. من هنا أهميّة أن يكون سلام الله وحده في داخلنا، إذ إنه ينعكس هدوءًا وثباتًا واتزانًا في حياتنا مهما كثرت المصاعب. «وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناةٍ، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفّفٍ» (غلا ٥:٢٢ و٢٣). متى حلّ سلام الله فينا نصبح أكثر قدرة على مواجهة الأحزان والصعاب، فلا نيأس ولا نغضب باطلاً. إن الغضب الوحيد الذي يظهر على المؤمن، وكذلك الحزن، هو الغضب والحزن على الخطيئة التي قد يرتكبها هو أو يراها في مَنْ حوله. عندما يصل الإنسان إلى هذه المرحلة من السلام الداخلي بنعمة الله يكون قد حصل فعلاً على خلاص نفسه: «من أجل السلام الذي من العلى وخلاص نفوسنا». هذا هو سعي الإنسان: أن يخلّص نفسه.

سلام الله يُنتج فينا أيضًا سلامًا خارجيًا، أي مصالحة مع كل خلائق الله الأخرى: «من أجل سلام كل العالم». نتعاطى مع كل ما يحيط بنا بسلام بعيدًا عن النفور والغضب والصراعات التافهة، بعيدًا عن الحسد والبغض والكراهية والخصام. متى حلّ سلام الله في قلوبنا نرى صورة الله في كل إنسان حولنا. ابن الله صُلب لأجل كل البشر وأعادهم أبناءً لله. لقد أُعطينا السلام مع الله عبر صليب الرب يسوع المسيح الذي به صولحنا مع الله. المسيح مات على الصليب لأجل جميع البشر، لذا في الطلبة السلامية لا نطلب فقط أن نعيش بسلام مع الآخرين بل نطلب لهم السلام وكل خير أيضًا. نصلّي من أجل خدّام الأسرار في الكنيسة ومن أجل الحكّام وسكان المدن والقرى، من أجل المسافرين

مساويًا لهم من حيث شكله البشري لا من حيث مجده الذي يفوق على العالم.

... يشفي المسيح الناس كلهم ويوزع ما هو مفيد لكل واحد ويرشد النفوس إلى الحياة الأبدية. يقول صرت الكل للكل من أجل خلاص الكل. هذا هو مضيف الكنيسة الحسن يضيف الكل ويهتم بالكل. لا يبعد الزاني، لا يرفض الوثني، لا يطرد الدنس والجاحد، يقبل الكل. يغسل الجراحات كالطبيب، ينظفها ويمسحها بالماء المتولّد باستمرار. يقدّم كلامه المضمّد كالخمر حتى لا ننجرّ وراء خطايا جهالتنا وسيئاتنا. هو يشفينا من جديد بتعزيته ويدهن نفسنا بالزيت. يقول لنا بولس الرسول: «أرجوكم أيها الإخوة برحمة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية كما يليق أن تكون عبادتنا». إن كنا أتباعًا لكلمات بولس لنحفظ وصايا المسيح حتى لا نسقط من أورشليم السماوية مدينة الله الحقيقية. ونرجو بشفاء جراحات نفسنا وجسدنا أن نظهر أصحاء كاملين في الإيمان أمام المسيح بسلام وشجاعة دون أن ننقص على أحد عمله الحسن بل أن نتمتع بوعد السموات الصالح بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي هو مع الآب والروح الكلي قدسه له المجد الآن وإلى كل الدهور. آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

والمرضى والمعذّبين والأسرى، من أجل كل إنسان على وجه المسكونة.

سلام الله الحالّ فينا يجب أن ينعكس أيضًا سلامًا مع الطبيعة: «من أجل اعتدال الأهوية وخصب الأرض بالثمار وأوقات سلامية». يجب أن لا نؤذي الطبيعة التي قال الله لآدم أن يحفظها ويعملها (تك ١٥:٢)، بل يجب أن نسعى للمحافظة على البيئة لكي تحافظ هي علينا. إن نتيجة دخول الشر والطمع إلى قلوب البشر وحلولهما مكان سلام الله أدّى إلى كوارث بيئية كبيرة انعكست سلبًا على حياة الإنسان. ما يتعلق بالطبيعة الخضراء ينطبق على الحيوانات أيضًا. ذروة العيش في سلام الله تنعكس عيشًا سلاميًا مع أشد الحيوانات ضراوة. من يقرأ سير القديسين الذين عاشوا السلام يلاحظ كيف كانت الأسود والدببة تأتي لتأكل من أيديهم، وتحرسهم بدل أن تقتلهم. ولنا أمثلة كثيرة: القديسون موسى الحبشي ويوحنا كرونشتادت وساروفيم ساروفسكي وغيرهم.

الكنيسة، وفي لفتة تعليمية لأبنائها، فرضت أن لا نأكل اللحوم في الصيامات، لكي نتعلّم أن نحيا هذا السلام مع كافة خليقة الله كما كان في البدء عندما خلق الله السماء والأرض. نمتنع عن قتل الحيوانات ونحيا معها بسلام.

يقول الرسول بولس: «الله ليس إله تشويش بل إله سلام» (١ كو ٣٣:١٤). ومتى حلّ الله فينا يقودنا إلى الميناء الهادئ حيث الخلاص. متى حلّ الله فينا يحلّ سلامه أيضًا. فلنسعَ أن يحلّ الله فينا بالصلاة والصوم والمناولة المتواترة، والأهم، الإيمان بابنه الوحيد يسوع المسيح إلهًا ومخلّصًا وملكًا على نفوسنا وأجسادنا.

صوم الميلاد

لقد رتَّبت الكنيسة أن يتهيأ أبناؤها، روحًا وجسدًا، لاستقبال الأعياد الخلاصية الكبيرة عبر الصوم والصلاة. في الصوم يروّض المؤمن نفسه وجسده الذي سيقوم في اليوم الأخير فيطرحا عنهما كل اهتمام دنيوي وثقل الشهوات لاستقبال ملك الكل. لذلك وفي إطار التهيئة الروحية لاستقبال عيد ميلاد ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد تبتدئ الكنيسة في الخامس عشر من تشرين الثاني صومًا يمتد لمدة أربعين يومًا يمتنع فيه المؤمنون عن تناول كافة أنواع اللحوم والدجاج والحليب ومشتقاته، ويُسمح خلاله بتناول السمك في ما عدا يومي الأربعاء والجمعة.

دخول السيدة إلى الهيكل

بمناسبة عيد دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء السبت ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠٤ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢١ تشرين الثاني في كنيسة دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb